

تفسير السعدي

@ 189 @ وقدره ، وخلقه . ! 2 2 ! أي : الصادر منهم تلك المقالة الباطلة . ! 2 ! أي : لا يفهمون حديثا بالكلية ، ولا يقربون من فهمه ، أو لا يفهمون منه إلا فهما ضعيفا . وعلى كل ، فهو ذم لهم وتوبيخ على عدم فهمهم وفقههم عن الله ، وعن رسوله ، وذلك بسبب كفرهم وإعراضهم . وفي ضمن ذلك ، مدح من يفهم عن الله وعن رسوله ، والحث على ذلك ، وعلى الأسباب المعينة على ذلك ، من الإقبال على كلامهما وتدبيره ، وسلوك الطرق الموصلة إليه . فلو فقهوا عن الله ، لعلموا أن الخير والشر ، والحسنات والسيئات ، كلها بقضاء الله وقدره ، لا يخرج منها شيء عن ذلك . وأن الرسل ، عليهم الصلاة والسلام ، لا يكونون سببا لشر يحدث ، لا هم ، ولا ما جاؤوا به ، لأنهم بعثوا بمصالح الدينا والآخرة والدين . ! 2 2 ! ثم قال تعالى : ! 2 2 ! أي : في الدين والدنيا ! 2 2 ! هو الذي من بها ويسرها بتيسير أسبابها . ! 2 2 ! في الدين والدنيا ! 2 2 ! أي : بذنوبك وكسبك ، وما يعفو الله عنه أكثر . فالله تعالى ، قد فتح لعباده أبواب إحسانه ، وأمرهم بالدخول لبره وفضله ، وأخبرهم أن المعاصي مانعة من فضله . فإذا فعلها العبد ، فلا يلومن إلا نفسه ، فإنه المانع لنفسه ، عن وصول فضل الله وبره . ثم أخبر عن عموم رسالة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقال : ! 2 2 ! على أنك رسول الله حقا بما أيدك بنصره ، والمعجزات الباهرة ، والبراهين الساطعة ، فهي أكبر شهادة على الإطلاق . كما قال تعالى : ^ (قل أي شيء أكبر شهادة ؟ قل : الله شهيد بيني وبينكم) ^ . فإن علم أن الله تعالى ، كامل العلم ، وتام القدرة ، عظيم الحكمة ، وقد أيد الله رسوله بما أيدته ، ونصره نصرا عظيما ، تيقن بذلك أنه رسول الله . وإلا فلو تقول عليه بعض الأقاويل ، لأخذ منه باليمين ، ثم لقطع منه الوتين . ! 2 2 ! أي : كل من أطاع رسول الله في أوامره ونواهيه ! 2 2 ! تعالى ، لكونه لا يأمر ولا ينهى ، إلا بأمر الله ، وشرعه ، ووحيه وتنزيله . وفي هذا عصمة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله أمر بطاعته مطلقا فلولا أنه معصوم في كل ما يبلغ عن الله ، لم يأمر بطاعته مطلقا ، ويمدح على ذلك . وهذا من الحقوق المشتركة ، فإن الحقوق ثلاثة : حق الله تعالى ، لا يكون لأحد من الخلق ، وهو عبادة الله ، والرغبة إليه ، وتوابع ذلك . وقسم مختص بالرسول ، وهو التعزير ، والتوقير ، والنصرة . وقسم مشترك ، وهو الإيمان بالله ورسوله ، ومحبتهما وطاعتهما . كما جمع الله بين هذه الحقوق في قوله : ! 2 2 ! . فمن أطاع الرسول ، فقد أطاع الله ، وله من الثواب والخير ، ما رتب على طاعة الله . ! 2 2 ! عن طاعة الله ورسوله ، فإنه لا يضر إلا نفسه ، ولا يضر الله شيئا . ! 2 2 ! أي : تحفظ أعمالهم ، وأحوالهم ، بل أرسلناك مبلغا ومبينا

وناصحا . وقد أدت وظيفتك ، ووجب أجرك على الله ، سواء اهتدوا ، أم لم يهتدوا . كما قال تعالى : ^ (فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر) ^ الآية . ولا بد أن تكون طاعة الله ورسوله ، ظاهرا وباطنا ، في الحضرة والمغيب . فأما من يظهر في الحضرة ، الطاعة والالتزام ، فإذا خلا بنفسه ، أو أبناء جنسه ، ترك الطاعة ، وأقبل على ضدها ، فإن الطاعة التي أظهرها ، غير نافعة ولا مفيدة ، وقد أشبه من قال الله فيهم : ! 2 2 ! أي : يظهر الطاعة إذا كانوا عندك . ! 2 2 ! أي : خرجوا ، وخلوا في حالة لا يطلع فيها عليهم . ! 2 ! أي : بيتوا ودبروا غير طاعتك ، ولا ثم إلا المعصية . وفي قوله : ! 2 2 ! دليل على أن الأمر الذي استقروا عليه ، غير الطاعة ، لأن التبييت ، تدبير الأمر ليلا ، على وجه يستقر عليه الرأي . ثم توعدهم على ما فعلوا فقال : ! 2 2 ! أي : يحفظه عليهم ، وسيجازيهم عليه أتم الجزاء ، ففيه وعيد لهم . ثم أمر رسوله ، بمقابلتهم بالإعراض ، وعدم التعنيف ، فإنهم لا يضرونه شيئا ، إذا توكل على الله ، واستعان به ، في نصر دينه ، وإقامة شرعه . ولهذا قال : ! 22 ! . ! 2 2 ! يأمر تعالى بتدبير كتابه ، وهو : التأمل في معانيه ، وتحديق الفكر فيه ، وفي مبادئه وعواقبه ، ولوازم